لحى اللَّه الفراق

[الوافر]

لِـمَـنْ طَـلَـلٌ بـوَادِي الـرَّمْـلِ بـالـي
مَـحَـتْ آثَـارَهُ رِيـحُ الـشَّـمَـالِ[١]؟
وَقَـفْـتُ بـهِ وَدَمْـعـي مِـنْ جُـفُـونـي
يَـفـيـضُ عَـلـى مَـغَـانِـيـهِ الـخَـوَالـي[٢]
أُسَـائِـلُ عَـنْ فَـتَـاةِ بَـنـي قُـرَادٍ
وَعَـنْ أتْـرَابِـهـا ذَاتِ الـجَـمَـالِ[٣]
وَكَـيْـفَ يُـجـيـبُـنـي رَسْـمٌ مُـحـيـلٌ
بَـعـيـدٌ لا يَـرُدُّ عـلـى سُـؤالـي[٤]
إذا صَـاحَ الـغُـرَابُ بـهِ شَـجَـانـي
وَأجْـرَى أدْمُـعـي مِـثْـلَ الـلآلـي[٥]
وَأخْـبَـرنـي بـأصْـنَـافِ الـرّزَايـا،
وَبـالـهِـجْـرَانِ مِـنْ بَـعْـدِ الـوِصَـالِ[٦]

---

(١)، (٢) يسأل الشاعر عن أصحاب تلك الأطلال التي تركها أصحابها ورحلوا عن وادي الرمل لا يلوون على شيء، ولطول العهد، فقد تغيّرت معالم تلك الأطلال، وريح الشمال تعمل فيها تغيراً وتشويهاً، ما يربط الشاعر بتلك الأطلال ذكريات حلوة، وقف يبكي تلك الأيام، فإذا بدموعه تتساقط حتى بلّت تلك المغاني الخالية، فلم تعد تغنى بأهلها، وباتت قفراء.

(٣) سبب وقوف الشاعر أنه يسأل عن حبيبته، إنها فتاة بني قُراد فهي قلادة عقد جمع أترابها الجميلات فيه.

(٤) إنه المنطق السليم، إنها أطلال بكماء لا تُجيد نطقاً، وقد تغيّرت معالمها، والرسم لا يُحسن جواباً.

(٥)، (٦) في ركن من أركان تلك الأطلال غراب ينعق معلناً خراب ذلك =

غُــرَابَ الــبَــيــنِ مَــا لَــكَ كُــلَّ يَــوْم
تُــعــانِــدُنــي وَقَــدْ أَشْــغَــلْــتَ بــالــي[١]؟
كَــأنــي قَــدْ ذَبَــحْــتُ بــحَــدّ سَــيْــفــي
فِــرَاخَــكَ أوْ قَــنَــصْــتُــكَ بــالــحِــبَــالِ[٢]؟
بــحَــقِّ أبــيــكَ داوِي جُــرْحَ قَــلْــبــي،
وَرَوِّحْ نــارَ سِــرّي بــالــمَــقَــالِ[٣]
وَخَــبِّــرْ عَــنْ عُــبَــيْــلَــةَ أيــنَ حَــلّــتْ؟
وَمَــا فَــعَــلَــتْ بــهــا أيْــدي الــلَّــيَــالــي[٤]؟
فَــقَــلْــبــي هَــائِــمٌ فــي كُــلّ أرْضٍ،
يُــقَــبِّــلُ إثْــرَ أخْــفــافِ الــجِــمَــالِ[٥]
وَجِــسْــمــي فــي جِــبَــالِ الــرّمْــلِ مُــلْــقًــى
خَــيَــالٌ يَــرْتَــجــي طَــيْــفَ الــخَــيَــالِ[٦]

= المكان، فأبكى الشاعر، فإذا بدموعه تتساقط كعقد انفطر فإذا بحبّاته اللؤلؤية تتساقط سِراعاً، ولسان حال الغراب يخبره بأن شتّى المصائب حلّت بتلك الديار، فكانت الهجرة، وانقطع ما كان موصولاً.

(١)، (٢) يُخاطب الشاعر الغراب مستفسراً عن سرّ عناده المتواصل ممّا يُحيّره ويشغل باله باحثاً عن سبب وجيه، إنه لم يفعل ما يسيء إليه فلم يقتل له فرخاً ولم يعمل على صيده، أو أسره بالحبال.

(٣)، (٤) يُقسم الشاعر بحق أبي الغراب أن يعمل على شفائه، فقلبه مجروح، وهو بحاجة إلى جواب شافٍ يروّح به عن نفسه ويبرّد نار هموم قلبه وسرّه، إنه يستعلم عن عبيلة عن حالها وسُكناها، وكيف تقاذفت بها الأيام، وأين حطّت بها الرحال.

(٥)، (٦) يكشف الشاعر سوء حاله للغراب يستثير فيه الشفقة؛ قلبه هائم في أركان أرض يبحث عن شيء أضاعه، ويقتفي آثار الجمال يقبّل آثار =

وَفـي الـوَادي عَـلـى الأغْـصَـانِ طَـيْـرٌ
يَـنُـوحُ وَنَـوْحُـهُ فـي الـجَـوّ عَـالـي[١]
فَـقُـلْـتُ لَـهُ، وَقَـدْ أبْـدَى نَـحـيـبـاً:
دَعِ الـشّـكْـوَى فَـحَـالُـكَ غـيـرُ حـالـي[٢]
أنـا دَمْـعـي يَـفـيـضُ وَأنْـتَ بـاكٍ
بـلا دَمْـعٍ فَـذَاكَ بُـكـاءُ سَـالـي[٣]
لَـحـى الـلَّـهُ الـفِـرَاقَ وَلا رَعَـاهُ
فَـكَـمْ قَـدْ شَـكّ قَـلْـبـي بـالـنِّـبَـالِ[٤]
أُقَـاتِـلُ كُـلّ جَـبّـارٍ عَـنـيـدٍ،
وَيَـقْـتُـلـنـي الـفِـرَاقُ بـلا قِـتَـالِ[٥]

= أخفافها، علّها تكون جمالاً تخصّ عبلة، وقد انطرح الشاعر أرضاً لشدّة إعيائه وطول رحلته، إنه خيال يأمل أن يُصادف طيف خيال حبيبته فترتدّ إليه قواه ويستعيد رشده.

(١)، (٢) في جانب من الوادي، يتصاعد صوت طائر يتّخذ من الأغصان ساتراً يبكي نائحاً لفقد أليف لفت انتباه الشاعر نحيبه، فقال له: اترك الشكوى، ولا تزد في ألمي وحزني، فحال كلّ منا يخالف الآخر.

(٣) كلانا حزين والفرق بيننا أنني أبكي دمعاً، وأنت لا تدمع لك عين، فبكاؤها تسرّي به عن نفسك.

(٤)، (٥) يدعو الشاعر على الفراق ألّا يُباركه اللّه تعالى ولا يرعاه، لقد كان وقعه عليه أليماً ولطالما تمكّنت نباله من إصابة أهدافها في قلبه، فأدمته وأنفذت فيه مقاصدها؛ والغريب في الأمر أنه يُقال كلّ جبار عنيد فيصرعه ولا يُبالي بينما يصرعه الهجر بلا قتال؛ وتلك معادلة ظالمة.